

اللغة العربية في التعاون العربي العربي والتعاون العربي الدولي

إعداد: د. عاطف نصار

مقدمة:

شأن اللغات أن تربط بين البشر، وهذا يسمونه في علوم الإدارة الاتصال، وبهذا المفهوم فإن اللغة تكون أداة للاتصال بين البشر في نطاق الأمة الواحدة أو الشعب الواحد أو المجموعة الواحدة، والاتصال هنا أداته الكلمة بأنواعها حرفاً وفعلاً واسماً ومختصرات بأنواعها، إشارات وضمائر وأصوات، وشأن اللغات على هذا النحو أن تقيم التعارف بين البشر أمماً وجماعات فيما يعرف باسم الترجمة، وتبادل تعلم اللغات سبيلاً إلى تبادل المعرفة والمعلومات والمنافع بأنواعها. هذه حقائق مقررّة اتخذتها اللغة العربية عقيدة راسخة بنص من القرآن الكريم جاء في التنزيل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [سورة الروم: ٢٣] وجاء في التنزيل: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ صدق الله العظيم [سورة الحجرات: ١٣]، وهكذا تقرر الآية الأولى اختلاف الألوان والشعوب والألسن أي اللغات، وتقول الآية الثانية بالتعارفية، ولا تقوم التعارفية بطبيعة الحال إلا بالنقل بين اللغات، وتكون قوة الدفع في هذا كله هي التعاون على المستوى الرأسي في نطاق الأمة الواحدة، وعلى المستوى الأفقي امتداداً للأمم جميعاً.. وهذا هو ما تناوله هذه الورقة.

أولاً: التعاون العربي العربي :

يُكوّن التعاون العربي في نطاق اللغة العربية الهوية العربية والاهتمام بهذه

اللغة سبيلاً إلى الاتصال وقدح الفكر وتبادل التجارب والخبرات والمعارف والمنافع والإبداع، وهو الأمر الذي حدث عبر تاريخ الأمة العربية، وإن تأرجح ذلك بين الانخفاض والارتفاع، وهذه هي أولى مقومات الهوية العربية التي حافظ عليها القرآن الكريم لأن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة بين اللغات جميعاً والتي تُستعمل في العبادة والمعاملات.

وإذا كانت اللغة العربية هي صانعة الهوية على هذا النحو باعتبارها لغة فكر وإبداع ومعاملات وعبادة وسياسة، الأمر الذي يقررها بالتالي لغة للعلم والتعليم فإن هذا من شأنه أن يجعل منها دعماً أساسياً لتوحيد الناطقين بها فهي لغتهم الموحدة، وهي لغتهم الموحدة وهي بالتالي لغتهم الموقرة بين الأمم باعتبارها لغة لنسبة كبيرة من سكان المعمورة بتكلمها أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة ويتعبد بها أكثر من مليار نسمة يكونون خمس سكان العالم. ولغة على هذا النحو قيمة وتاريخاً وتراثاً وفكراً وديناً وإبداعاً وتعداداً لا بد أن يقوم عليها تعاون وثيق بين الناطقين بها، وهذا ما نعنيه بمصطلح التعاون العربي العربي في مجال اللغة لسان العرب ولسان العبادة للمتعبدين بالإسلام الحنيف.

وليس التعاون العربي العربي الذي نتشده شيئاً جديداً على الساحة العربية، فإن هذا النشاط قائم بالفعل من خلال مؤسسات قطرية تشمل بطبيعة الحال المؤسسة التعليمية وبعضاً من المؤسسات ومراكز البحث العلمية، لكن هذه المؤسسات تحتاج إلى ربط قوى وتخطيط متكامل على المستوى الحكومي والإقليمي والأهلي حتى لا تكون بمثابة جزر منعزلة ضعيفة الأثر، ضعيفة الإمكانيات، ونذكر من هذه المؤسسات على سبيل الاسترشاد والمتابعة والاستنهاض ما يلي:

- مجامع اللغة العربية.

- الجمعيات الأهلية.

-- مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

- المؤسسات الدينية.

- المؤسسات التعليمية.

ثانياً: التعاون العربى الدولى :

لا تعيش اللغات فى عزلة: اللغات تحمل فى كياناتها جذور التعارفية الدولية. ويقاس تقدم الدول وحيويتها بنشاطها فى عمليات الترجمة والنقل من اللغات الأخرى وإليها. تشهد بذلك حركة التجارة بين الدول ويشهد بذلك أيضاً الخرائط التى نبغ العلم فى تاريخ مبكر فى رسمها للعالم ومناطقه وتضاريسه ومناخه وبأسه ومائه ومحاصيله وثرواته من كل نوع وجنس، وتشهد بذلك خرائط الطرق البرية والبحرية التى ربطت بين العالم وربطت بالتالى بين لغات هذا العالم، وأقامت تعاوناً وثيقاً من خلال التعارفية اللغوية البشرية وتحقيق حلم الإنسان المثالى فى المدينة الفاضلة ويصدق على هذا أن الله - سبحانه وتعالى - خلق الإنسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها وجعل منهما رجلاً كثيراً ونساءً، ومن شأن ذلك بطبيعة الحال أن يجعل فى التعارفية سعادة وحياء لبنى الإنسان، وهكذا أمة العرب فهم أهل دين وعلم وحضارة، وهم خير من احترم شق الطرق وتسيير القوافل، وهم الذين أعادوا إلى طريق الحرير مجده ونشطت من خلاله اللغات والتجارة على طول امتداده من جبال البرانس فى أسبانيا غرباً إلى بلاد الصين شرقاً.

التعاون بين الأمم تقوم به التعارفية اللغوية، ويبدأ عصر الإحياء دائماً بنشاط هائل فى الترجمة وتبادل تعلم اللغات، وتبادل التجارب البناءة لهذه الثروات، ولقد تأخرت الدول الناطقة بالعربية كثيراً فى هذا المجال، وفى تقديرنا أنه يمكن دائماً إدراك ما فات من خلال التعاون والتخطيط وتوحيد الجهود وتجميع الإمكانيات وهى غنية بحمد الله على المستوى العربى المتكامل ومن حسن الحظ أنه قامت مؤسسات عربية إقليمية تسعى إلى تحقيق هذا الهدف، ومن حسن الحظ أيضاً أن هناك مؤسسات ووكالات دولية تعمل من

أجل تنشيط التعاون في هذا المجال أيضاً مثل مؤسسة اليونسكو والهيئات التابعة لها. ويذكر من هذه الهيئات الإقليمية والدولية التي اندرجت اللغات تحت عباءة اهتمامها المنظمات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

- جامعة الدول العربية.

- المنظمة العربية للعلوم والثقافة.

- المنظمة العربية الإسلامية للعلوم والثقافة.

- اتحاد الجامعات العربية.

- هيئة اليونسكو.

- منظمة الصحة العالمية.

- الجامع الأزهر (الجامع والجامعة).

ونستطيع القول دون مبالغة أن هناك بنية هيكلية إقليمية ودولية يمكن أن تساعد في تنشيط التعاون العربي الدولي في مجالات رعاية اللغة وتنمية استعمالها في الحياة العلمية والعملية، كل ما هناك أن الوعي بهذه الضرورة الملحة ما زال محدوداً ينبغي أن يتضاعف، خاصة أن انحسار استعمال اللغة العربية في الحياة التعليمية والعلمية والعملية والإعلامية أصبح يشكل ظاهرة خطيرة أبرزها التسلسل الدخيل وضعف حركة التأليف والترجمة، بالرغم من الاعتراف الدولي بالعربية لغة عالمية، كما أن جهود البحث والإبداع اللغوي تعاني بشدة من نقص الترويج والحوافز الأدبية والمادية بالرغم مما يتفق على بنود أخرى أقل حجماً في التأثير والعائد الموسمي والأمني.

ثالثاً، آفاق التعامل بين الجمعيات الأهلية والمنظمات الحكومية:

لعله يتضح من العرض السابق أن آفاق العمل تكاد تكون محصورة بين المنظمات الحكومية، والمنظمات الإقليمية والدولية، والمنظمات الأهلية غير الحكومية، وقد برزت بقوة في مغرب القرن العشرين، ومطلع الألف الميلادية

الثالثة الإمكانيات الهائلة غير المحدودة للجمعيات الأهلية غير الحكومية، فأصبحت طرفاً فاعلاً فى أنشطة التنمية القطرية والإقليمية والدولية، وأصبحت الجمعيات الأهلية غير الحكومية عضواً حاضراً فى كافة المحافل الدولية لا يمكن أن يغيب بحال من الأحوال. اعترفت به المنظمات الدولية والإقليمية ووكالاتها، وشمل كافة مجالات التنمية والتعاون، وشملت مؤخراً رعاية اللغات بما اصطلح عليه باللغة الأم فى عيد اللغة الأم الذى بدأ أول احتفال به عام ٢٠٠٠ يوم ٢٢ فبراير من كل عام. ويمتد الاهتمام إلى رعاية اللغات وجوار اللغات والنقل بين اللغات. ولعل تنامي هذه الظاهرة ظاهرة التعاون والإيلاف وحسن الجوار وتبادل تجارب تنمية ورعاية اللغات ينتقل بشدة فاعلة إلى أهل اللغة العربية، ويشد الجسور والاتصال بين هؤلاء الأهل بعضهم لبعض. وبين هؤلاء الأهل وغيرهم من الأمم، ولعلنا ننوه بشدة إلى عدد من المؤسسات الأهلية غير العربية التى ينبغى أن تمتد الجسور بينها وبين المؤسسات الأهلية العربية، وأما المؤسسات الأهلية غير العربية فهى على سبيل المثال، إذ يتطلب الأمر حصراً شاملاً واسعاً لم يسعفنا به الوقت والإمكانات حتى الآن، وكلها تعمل فى رعاية اللغة بين أهلها الناطقين بها وغير أهلها غير الناطقين بها:

- معاهد جوته الألمانية.
- مراكز الثقافة الفرنسية.
- معاهد ومراكز المجلس البريطانى.
- جمعيات اللغة الإسبانية «سبانستا».
- مراكز دانتي لتعليم اللغة الإيطالية.

- أما الجمعيات الأهلية العربية فهي حتى الآن:
- الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية (الجزائر).
 - جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية (القاهرة).
 - الجمعية المصرية لتعريب العلوم (القاهرة).
 - جمعية حماة اللغة العربية (القاهرة).
 - جمعية حماية اللغة العربية (الشارقة).
 - جمعية حماية اللغة العربية (الرياض).

الختام

هذه ورقة لا نستطيع أن نقول بأنها تتحدث عن التعاون العربي العربي والعربي الدولي في مجالات رعاية اللغة العربية فهي تنبيه أو مقدمة لذلك، وهي محاولة لوضع عدد من عناصر البحث، واحتمالات العمل على المستويات الحكومية وغير الحكومية، وتنشيط دور المنظمات غير الحكومية والربط بينها وبين المنظمات الإقليمية والدولية، والحكومية القطرية وتقوم جمعية لسان العرب حالياً بالإعداد لمؤتمر حول الموضوع بأكمله يعقد في مقر الجامعة العربية في نهاية أكتوبر هذا العام ٢٠٠٢م.